مدينة مرسى الدجاج من خلال النصوص التاريخية والبقايا الأثرية.

د. إسماعيل بن نعمان*

مقدمة: لقد بقي موقع هذه المدينة مدفونا تحت الرمال والأتربة لقرون طويلة، وظل موضعها بالضبط محل شكوك من طرف المختصين ومواطني المدينة، ومع الاستغلال العشوائي لرمال البحر والتوسع العمراني الذي عرفته المدينة، بدأت بعض معالمها وآثارها تنكشف يوما بعد يوم ورغم ذلك كان الإهمال مصيرها، إلى أن تحول ما تبقى من موقعها إلى قطع أرضية وزعت على أصحابها، وفي سنة 2006م انطلقت أشغال تهيئة الموقع للشروع في البناء، لكن تحرك أعضاء جمعية محلية[1] باتجاه السلطات مكّن من توقيف الأشغال، التي سرعان ما استؤنفت بعزيمة أكبر خلال شهر مارس 2007م، حيث انطلقت الجارفات في التهيئة لشق الطرق ومد قنوات الصرف الصحي، وتحركت الجمعية سابقة الذكر مرة أخرى باتجاه مديرية الثقافة لإيقاف تلك الأعمال، واستطاعت مديرية الثقافة إصدار قرار مؤقت لوقف الأشغال أولا، ثم واصلت مهمتها بخطوات عملية أخرى تمثلت في استقدام فريق من الباحثين في ميدان الآثار لإجراء حفرية إنقاذية[2] لتبيان الأمر، وتبين أخيرا أن الآثار التي برزت على السطح ماهي إلا بقايا لمنشآت مدينة إسلامية (اللوحة رقم 01/01 إلى 04)، وبعد هذا التقرير تم إصدار قرار وقف الأشغال نهائيا.

ومن أجل السير على نفس المنوال خصصنا هذا المقال، لنفض بعض الغبار عن هذه المدينة، آملين أن يكون بداية لعمل منظم يهدف للكشف عن منشآتها بانجاز حفرية علمية منظمة، فهذه المدينة تعتبر من المدن المبكرة في المغرب الأوسط، التي كان لها دورا هاما قبل القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي، تلاشى واضمحلت معه المدينة بعد خرابها في العهد الموحدي.

والإشكالية المحورية لهذا المقال هي: كيف يمكن الوصول إلى إعادة استقراء عمران المدينة من خلال المصادر المكتوبة والبقايا الأثرية البارزة والمتناثرة على سطح أرض الموقع؟

وللإجابة على هذه الإشكالية انطلقنا بالبحث عن المصادر والمراجع التي أشارت للمدينة من قريب أو بعيد، ولاحظنا ندرتها فالبكري والإدريسي وصاحب كتاب الاستبصار وابن خلدون وغيرهم من المصادر قدموا معلومات شحيحة جدا عنها، كما تنعدم الدراسات الحديثة عن هذه المدينة، فقد بقيت بعيدة عن اهتمام الباحثين، باستثناء بعض المقالات المؤلفة في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، التي اكتفت بتقديم

* أستاذ محاضر في التاريخ القديم- قسم التاريخ- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله.

معلومات عامة أهمها حالتها في فترة إعداد تلك المقالات، هذا كله لأن المدينة كانت ولازالت مدفونة تحت الرمال والأتربة المتجمعة فوقها منذ عهد بعيد.

ولتغطية هذا النقص في المصادر والمراجع اعتمدنا على وسائل أخرى، منها زيارة الموقع بين الحين والآخر، والتقاط الصور لاستعمالها في المقارنة مع مدن أخرى مثل قلعة بني حماد، والاستفسار لدى السكان عن كل كبيرة وصغيرة عنه، وتوصلنا في الأخير إلى تقديم هذه الصفحات التي حاولنا فيها التعريف بالمدينة بإبراز موقعها الجغرافي وتاريخها، ثم استعرضنا وصفها لدى المؤرخين والجغرافيين المسلمين، وأخيرا قدمنا وصفا لموقعها وما يحتويه من بقايا أثرية متناثرة على السطح، مصحوبا بالتحليل المعتمد أساسا على المقارنة مع غيرها من المدن الإسلامية القريبة والبعيدة عنها جغرافيا، والقريبة منها تاريخيا.

أولا: الخصائص الطبيعية للمدينة: تمثل الخصائص الطبيعية أهم جانب يهتم به القائمون على اختيار موقع ما لبناء مدينة فيه للاستقرار الدائم، واهتم بهذا الجانب العديد من المفكرين المسلمين، ومن أشهرهم ابن الربيع في كتابه سلوك المالك في تدبير الممالك، وابن الأزرق في كتابه بدائع السلك في طبائع الملك وابن خلدون في مقدمة كتابه العبر، وغيرهم كثير، وأصبح المسلمون بموجب هذا يهتمون بحسن اختيار الموقع ويولون المميزات الطبيعية للموقع اهتماما كبيرا، لتساهم في حماية المدينة من الأعداء، وتوفير الماء من الوديان والينابيع، والحصول على الغذاء من الأراضي الخصبة، ومدى ملاءمة المناخ للعيش دون أمراض، وللبحث في هذا الجانب نستعرض هذه الخصائص في مدينة مرسى الدجاج.

1- الموقع الجغرافي والفلكي: تقع مدينة مرسى الدجاج على ساحل البحر الأبيض المتوسط بارتفاع قدره 12م عن سطحه، في الجزء المسمى حاليا بزموري البحري من بلدية زموري، الواقعة في ولاية بومرداس، وتبعد عن مقر الولاية مدينة بومرداس بحوالي 20 كلم غربا، يحدها ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالا، وبلدية لقاطة شرقا، وبلدية سي مصطفى جنوبا، وبلدية الثنية غربا (الشكل رقم:01).

الشكل رقم 01: الخريطة الإدارية الحالية لولاية بومرداس

© Khalil Gacemi – 2013 http://www.wilaya-boumerdes.dz

وإذا عدنا إلى موقعها بين المدن والحواضر القريبة منها في العهد الإسلامي، فهي محدودة شرقا بمدينة بني جناد ثم مدينة تدلس (دلس)، وغربا بتامدفوست ثم مدينة جزائر بني مزغنة، أما جنوبا فأقرب المدن إليها هي سوق حمزة ثم أشير(الشكل رقم02).

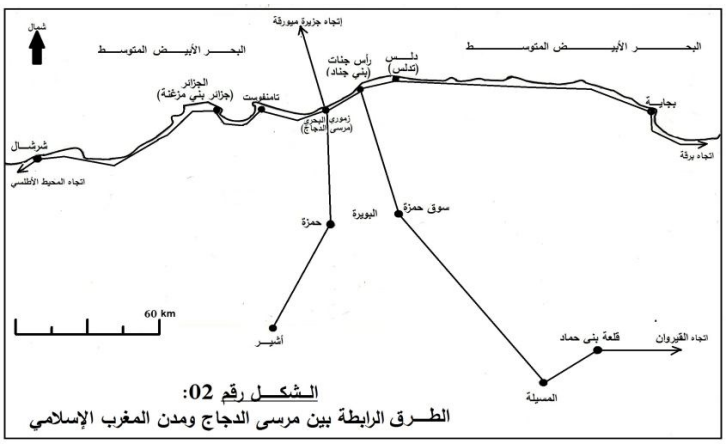

الـشكـــل رقم 02:
الطـــرق الرابطة بين مرسى الدجاج ومدن المغرب الإسلامي

وفلكيا فهي محصورة بين خطي طول 37.44ً 33َ 3° و3.36 َ34 3° شرقا وخطي عرض ً56.83 َ47 36° وً10.88 َ48 36° شمالا.

وموضع المدينة ممتد إلى غاية شاطئ البحر الذي يحيط بها من ثلاث جهات[3]، وسورها الذي أنجز لحمايتها كان يتعرض لضربات أمواج البحر[4].(الصورة أدناه).

وأهم ما يمكن قوله على موقع المدينة أنه مفتوح على كل الأخطار سواء القادمة برا أو بحرا عن طريق المراكب الحربية، فهو منبسط ومكشوف ومحاذي لساحل البحر، والمرتفعات بعيدة عنه بمسافات يصعب اللجوء إليها أثناء الخطر في وقت قصير، ويُعتمد في حماية المدينة أساسا على السور المحيط بها، وقد أشار

الإدريسي إلى الخطر القادم من البحر الذي كانت تتعرض له المدينة باستمرار خلال فصل الصيف، وكيف كان يتصرف سكانها للحماية منه، حيث قال: «وبشرها قليل، وربما فرّ عنها أكثر أهلها في زمن الصيف ومدة السفر خوفا من قصد الأساطيل إليها»[5].

2- المناخ: لم تحدثنا المصادر عن خصوصيات مناخ المدينة، وباعتبارها تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط فهي معرضة لتأثيراته المعروفة بالاعتدال في درجة الحرارة صيفا وشتاءً، وهي تتراوح بين 20° و24° في فصل الصيف، وبين 10° و15° في فصل الشتاء، مع بعض الاستثناءات في عدد محدود من أيام الفصلين أين ترتفع إلى 40° وأكثر في فصل الصيف وأقل من 10° في فصل الشتاء، أما تساقط الأمطار فتتراوح كميته بين 500 و1000 ملم سنويا.

3- التربـــة: تنتمي أراضي المدينة وضواحيها إلى أراضي سهل يَسَّر العالية الخصوبة، وهو ما تؤكده المعلومات التي ذكرتها المصادر عن وفرة الغذاء وجودته، وهي الميزة المشهورة بها إلى يومنا هذا، فأراضيها مازالت صالحة لإنتاج أنواع كثيرة من الخضر والفواكه، وتمد سكانها والمناطق القريبة والبعيدة عنها بمنتجات ذات جودة عالية.

4- المـــاء: يتميز موقع المدينة ومحيطها بوفرة الماء، فهو موجود في الآبار والعيون الطبيعية التي كانت كثيرة وفي الوديان القريبة منها، «وشربهم من نهر وأعين»[6]، وأشار البكري إلى عذوبة ماء عيونها حيث قال: «وبها عيون طيبة»[7].

فالعيون الطبيعية كثيرة تتوزع في المنطقة المحيطة بالمدينة على شعاع لا يتجاوز 10 كلم، ومازالت غزيرة المياه إلى يومنا هذا، كما أن المصادر الأوربية التي تعود إلى الفترة العثمانية وفترة الاحتلال الفرنسي تتحدث عن عين تقع قريبة منها في الجهة الغربية تسمى عين أشرب واهرب[8]، وترجح الروايات أن تسميتها ارتبطت بالخوف من الإصابة بالحمى التي تصيب كل من أقام قربها، وبالخطر الذي يلحق المقيمين قربها من طرف قراصنة البحر[9].

أما الوديان القريبة منها فثلاثة أنواع، الأول طويل وغزير المياه ويحتفظ بمائه في فصل الصيف، ويتمثل في وادي يسّر الذي يبعد عنها بحوالي 10 كلم شرقا وجنوبا (الشكل رقم 03)، يتموقع بينها وبين مدينة بني جناد، ويمتد من جبال ولاية المدية مروراً بالأخضرية إلى غاية مصبه في البحر الأبيض المتوسط غير بعيد عن مدينة بني جناد قاطعا مسافة قدرها 230كلم، أما النوع الثاني فهو متوسط في الطول وكمية الماء ويجف في فصل الصيف، ويمثله وادي قورصو الواقع على مسافة حوالي 11 كلم غربا، ووادي بودواو الواقع على مسافة حوالي 14.50كلم غربا كذلك(الشكل رقم 03)، وآخر الأنواع يتمثل في الكثير من الشعاب القصيرة في الطول والقليلة في التدفق المائي والتي تجف في الفصول غير المطيرة.

دون إهمال المياه الباطنية المتوفرة بكثرة في موقع المدينة وضواحيها، والتي تستخرج عن طريق حفر الآبار.

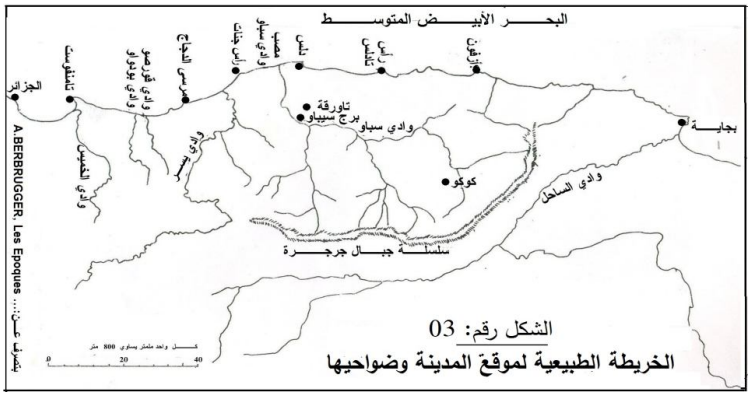

الشكل رقم: 03
الخريطة الطبيعية لموقع المدينة وضواحيها

ثانيا: تاريخ المدينة: عرفت المدينة الاستقرار البشري منذ عهود قديمة، فقد كانت موجودة قبل وصول المسلمين إليها، فحسب ما ذكره صاحب كتاب الاستبصار «وهي قديمة البناء وفيها آثار عجيبة للأول»[10]، وكانت تسمى بـــRUSUBBICARI، وأشارت الكثير من المصادر والمراجع إلى بعض البقايا الأثرية الرومانية التي بقيت موزعة في أرجاء الموقع[11].

وفي الفترة الإسلامية ارتبطت تسميتها بطائر الدجاج الذي كان متوفرا بكثرة فيها حسبما ذكره صاحب كتاب الاستبصار، الذي لاحظ كثرة طائر السماني في البحر القريب منها[12].

وأقدم ما وصلنا عنها من معلومات خلال الفترة الإسلامية يعود إلى النصف الأول من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، حيث أشار المقدسي (336هـــ/947م- 380هـــ/990م) إلى أنها كانت تابعة لإفريقية والتي عاصمتها القيروان[13]، ووصفها ابن حوقل وبيّن مكانتها الاقتصادية من حيث التجارة والإنتاج الفلاحي الذي كان يكفي حاجاتها ويصدر إلى باقي الأمم المجاورة لها، ثم أضاف قائلا بأن: الساحل الممتد من بونة إلى جزائر بني مزغناي يحتوى على ثلاث مدن فقط، وهي المدينتان السابقتان ومدينة مرسى الدجاج، أما الأماكن الأخرى فهي عبارة عن مراسي فقط مثل جيجل وبجاية وبني جناد وتامدفوست[14]، مما يبين أن مدينة مرسى الدجاج كانت ذات أهمية كبيرة في النصف الأول من القرن الرابع الهجري.

وهذه الفترة تتزامن مع وجود الدولة الفاطمية في المنطقة، فهذه الدولة توسع نفوذها واتسعت رقعتها الجغرافية في بلاد المغرب وشملت معظم أراضي المغربين الأدنى والأوسط، واستطاعت التوغل إلى غاية المغرب الأقصى في فترات متقطعة من تاريخها، ووفقا للتقسيم الإداري الذي كان في عهد الدولة الفاطمية فإن المدينة كانت تابعة لولاية أشير التي كانت تشمل مواطن صنهاجة وما جاورها من زواوة وزناتة[15].

وفي أثناء هذا التوسع واجهوا مقاومة شديدة من طرف القبائل المحلية، التي كانت تعتمد أحيانا على مدد خارجي من الدولة الأموية في الأندلس، وكان هدف أمويي الأندلس من تقديم هذه المساعدات هو بسط نفوذهم على بلاد المغرب ومضايقة الفاطميين من جهة، ومنعهم من التفكير في الانتقال إلى الأندلس من جهة أخرى، ومن بين أهم الثورات التي كادت أن تقضي على الدولة الفاطمية ثورة أبي يزيد مخلد الملقب بصاحب الحمار التي دامت من 331هـ/942م إلى 336هـ/947م.

وبرزت أهمية مدينة مرسى الدجاج لدى الدولة الفاطمية خلال هذه الثورة، وأصبح مرساها وسيلة للتزود بالمدد العسكري، حيث استغله الفاطميون للحصول على هذا المدد في أقصر مدة زمنية لاختصار الوقت، ثم نقله برا عبر الطريق الممتد منها إلى غاية مدينة المسيلة، والذي يمثل الجزء الثاني من الطريق الذي بقي مستعملا في عهد البكري (ق.5هـ/11م) والممتد منها إلى مدينة القيروان مرورا بمدينة المسيلة[16]، ولا يستبعد أن يكون استعمل لأسباب أمنية وذلك لخطورة بعض المقاطع من الطرق البرية الرابطة بين مدينة المهدية وباقي مدن المغرب الأدنى ومدينة المسيلة.

وقد استعمل فعليا أثناء تحصن أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي المعروف بصاحب الحمار[17] في قلعة كيانة[18] ليحمي نفسه وجنده من الجيش الذي زحف به الخليفة الفاطمي إسماعيل المنصور بالله الفاطمي لمحاربته يوم الأحد من شهر محرم سنة 336هـ/جويلية 947م، وفي أثناء حصاره له احتاج إلى مزيد من الدعم العسكري، فطلبه من قائده أبي يعقوب بن الخليل الذي أرسله على متن خمس وعشرين مركبا وصل بها إلى مرسى الدجاج[19].

وتغيب المدينة عن الأحداث التاريخية المهمة فترة من الزمن ثم تعود للظهور سنة 408هـ/1017م، فخلال أواخر شهر جمادى الأولى 408هـ/أواخر شهر أكتوبر1017م انتهت الحرب بين كل من المعز بن زيري وعمه حماد بن بلكين، واتفقا على اقتسام الدولة الزيرية بينهما: قسم شرقي للمعز بقي على تسميته القديمة ومقره المنصورية، وقسم غربي سمي فيما بعد الدولة الحمادية ومقره القلعة، وبمقتضى هذا الاتفاق أرسل حماد ابنه القائد إلى المعز تعبيرا عن قبول الاتفاق، وأصبح بموجبه حاكما مستقلا لمدن المسيلة وطبنة والزاب وأشير وتاهرت وما يفتح من بلاد المغرب، وعند وصول القائد إلى المعز يوم 15 شعبان 408هـ/5 جانفي 1018م أكرمه وأصدر منشورا يعينه به واليا على مدن طبنة والمسيلة ومقّرة ومرسى الدجاج وسوق حمزة وزواوة ودكمة وبلزمة، ثم سمح له بالعودة إلى أبيه يوم 04 رمضان 408هـ/24 جانفي 1018م، وعند وصوله أظهر طاعته لأبيه وأصبح واليا على تلك المدن التابعة للدولة الحمادية الناشئة[20].

ولا نعلم إن كان القائد استمر في ولايته إلى غاية وصوله لحكم الدولة الحمادية عقب وفاة أبيه حماد سنة 419هـ/1029م، كما أن المصادر لم تحدثنا عن مصير إمارة الولاية التي كان مشرف عليها، خلال فترة

حكمه التي دامت إلى غاية 446هـ/1054م، ونفس الملاحظة تنطبق على فترة حكم كل من محسن بن القائد (446-447هـ/1054-1055م)، وبلقين بن محمد بن حماد (447-454هـ/1055-1062م).

ومع قدوم الناصر بن علناس إلى الحكم سنة 454هـ/1062م، استحدث تقسيما إداريا آلت بموجبه ولاية الجزائر ومرسى الدجاج لابنه عبد الله، ووزع ولديه وإخوته على الولايات وفقا لما يلي:

- ولاية الغرب ومقرها مليانة منحها لأخيه كباب.
- ولاية حمزة لأخيه رومان.
- ولاية نقاوس لأخيه خزر.
- ولاية قسنطينة لأخيه بلبار.
- ولاية الجزائر ومرسى الدجاج لابنه عبد الله.
- ولاية أشير لابنه يوسف[21].

ويتضح جليا من خلال هذا التقسيم أن الولايات القريبة من عاصمة الدولة عين عليها ولديه عبد الله ويوسف، خوفا من الاضطرابات التي قد يحدثها إخوته طمعا في الحكم، وحرصا منه على تعليمهما أصول الحكم، وحتى يتمكن من الاتصال بهما عند الحاجة بكل سهولة وفي وقت قصير نظرا لقرب المسافة.

ووفقا لما ذكرته المصادر الجغرافية التي تعود إلى القرنين 5-6هـ/11-12م فإن المدينة تميزت بأراضيها الخصبة ومنتجاتها المتنوعة وأسعارها اليسيرة، وكانت المنتجات تباع في أسواقها والأسواق البعيدة عنها نظرا لجودتها الكبيرة[22]، كما عرفت قدوم الأندلسيين إليها واستقرارهم فيها مع سكانها المنحدرين من قبيلة كتامة، وفيما يتعلق بعمرانها فقد أشار البكري إلى وجود أسواق ومسجد جامع، وسور يحيط بها[23].

وآخر ما ذكرته المصادر عنها يرتبط بالدولة الموحدية، التي شهد عصرها ثورة ابن غانية التي دامت نصف قرن، وخلفت معاركها التي كانت تدور بين عساكر الموحدين وابن غانية دمارا كبيرا شمل عمران العديد من مدن المغرب الأوسط، ومن أشهرها قصر عجيسة وزرقة والخضراء وشلف ومتيجة وحمزة ومرسى الدجاج والجعبات والقلعة[24].

ومن خلال المعلومات التاريخية القليلة التي ذكرناها سابقا عن المدينة، فإن شهرتها استمرت لفترة زمنية امتدت من العهد الفاطمي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري(10م) إلى غاية بداية العهد الموحدي في القرن السادس الهجري(12م)، وبلغت مكانة مقبولة منذ أواخر العهد الزيري ومعظم الفترة الحمادية،

واختفت أخبارها بعد خبر تبعيتها لولاية الجزائر في عهد الناصر بن علناس، إلى أن جاء خبر تخريبها إلى جانب مدن أخرى كثيرة عقب ثورة بني غانية ضد الموحدين.

وبالعودة إلى المصادر التاريخية والجغرافية التي تحدثت عن المدن المجاورة لها، فإننا نلاحظ بروز مدينة تدلس القريبة منها والواقعة شرقا خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري(11م)، والتي تعززت مكانتها بقدوم الأندلسيين إليها بعد استقرار أمير المرية فيها إثر قبول الخليفة الحمادي المنصور بن الناصر لهذا الأمير باللجوء إلى الدولة الحمادية عقب استيلاء المرابطين على إشبيلية سنة 484هـ/1091-1092م، فأدى هذا الاستقرار إلى بروز المدينة ودخولها إلى مسرح الأحداث السياسية في المنطقة، وفي نفس الوقت أصبحت مدينة مرسى الدجاج لا تذكر إطلاقا من طرف المصادر التاريخية والجغرافية، وأصبح تاريخها متوقفا في حدود بداية الدولة الموحدية.

فمثلاً ابن خلدون لم يذكر مدينة تدلس إلا انطلاقا من ظهور الأمير الأندلسي السابق ذكره، واستمر في ذكر الأحداث التاريخية التي شهدتها واحتدام الصراع عليها من قبل الدولة الحفصية والزيانية والمرينية، وفي المقابل انقطع ذكره لمدينة مرسى الدجاج منذ عهد الناصر بن علناس[25].

وامتد هذا الغموض طيلة العهد العثماني الذي حظيت فيه مدينة تدلس بمتابعة دقيقة لتاريخها، وبقيت مدينة مرسى الدجاج مهملة الذكر، ونفس الملاحظات السابقة تنطبق على مدينة مرسى بني جناد التي كانت تذكر دوما كلما ذكرت مدينة مرسى الدجاج.

وقدّم F.Elie de la Primaudaie معلومات عن المصادر الأوربية التي تحدثت عنها، حيث أشار إلى تسمياتها على خرائـــط الملاحة البحرية التي تعود إلى القرن 14م، حيث أطلقت تسمية Marsa de Gigi في الخريطة التي أنجزها Visconti، وتسمية Marsa de Gega في الخريطة التي أنجزها M.Jomard[26]، وأضاف بأن «المؤلفين القدامى أشاروا إلى أن مرسى الدجاج محصنة بسور، وهي دائما ممونة بكل ضروريات الحياة، وكانت قديما مقصودة وسكانها يمارسون تجارة الزيتون والفواكه المجففة مع تدلس وبجاية ومدن ساحلية أخرى»[27].

وهناك إشارات لها في بعض المصادر الأوربية تعود إلى العهد العثماني، حيث أخطأ شاو في تحديد موقعها وأشار إلى أن مدينة مرسى الدجاج التي ذكرها الإدريسي تقع في موقع مدينة بني جناد[28].

3- فترة الاحتلال الفرنسي: عادت مدينة مرسى الدجاج للظهور في المراجع بعد احتلالها من طرف الفرنسيين، مع احتفاظها بتسميتها القديمة مرسى الدجاج، وبقيت مهملة مدة طويلة، ولم يؤسس المحتل فيها مركزا عمرانيا، وجعلها تابعة بداية لبلدية بلا قيطون (سي مصطفى حاليا)، ثم قام بتأسيس بلدية قريبة منها في منطقة زموري سماها Cauvet يوم 07 أفريل 1886م[29]، وكل التقارير التي أنجزت عن المنطقة أشارت إلى عدم وجود مدينة أو قرية فيها لقلة الاستقرار البشري فيها[30].

وحسب الفرنسيين فقد ازدادت أهيمتها أكثر بعد استقرار الصيادين فيها، وأصبح المرسى يضمن خروج الإنتاج الفلاحي منها[31]، لكنها لم ترق إلى درجة بلدية، واستمر الوضع على حاله إلى ما بعد الاستقلال عن المحتل الفرنسي حيث بقيت تابعة لبلدية زموري، وتحولت تسميتها إلى زموري البحري، وهي شهرتها إلى يومنا هذا.

ثالثا: وصف المدينة من خلال المصادر: نظرا لغياب البقايا الأثرية السطحية منذ زمن طويل فإن اعتمادنا في التعرف على عمران المدينة سيكون على ما كتبه الجغرافيون في مؤلفاتهم، وهم المقدسي وابن حوقل في القرن الرابع الهجري، والبكري في القرن الخامس الهجري، والإدريسي وصاحب كتاب الاستبصار في القرن السادس الهجري، واكتفى كل من الحموي في كتابه معجم البلدان، والبغدادي في كتابه مراصد الاطلاع بنقل ما ذكره البكري والإدريسي، وهو ما يتيح لنا تتبع أخبارها في الفترة الممتدة من القرن الرابع الهجري إلى القرن السادس الهجري.

1- السكان: في عهد الإدريسي كان يسكنها عدد قليل من البشر ينسحبون منها خلال فصل الصيف خوفا من قدوم الأعداء بحرا[32]، ويتشكل هؤلاء السكان من قبيلة كتامة المحلية، والوافدين على المدينة من الأندلسيين[33]، الذين استقروا فيها وساهموا في ازدهارها مثلما فعلوا في الكثير من المدن الساحلية في بلاد المغرب الأوسط كتنس ووهران وشرشال وتدلس.

2- الموضع: حدد البكري موضع المدينة في مكان يحيط به البحر من ثلاث جهات[34].

3- عمران المدينة: وصف الإدريسي المدينة بأنها كبيرة القطر[35]، وهو ما يتنافى ووجود مسجد جامع واحد ذو باب واحد فقط حسبما ذكره البكري[36]، مما يجعلنا نعتقد بأن الإدريسي يقصد من قوله المدينة المحاطة بسور وكذا محيطها الريفي الذي تعتمد عليه في الحصول على وسائل العيش، وعموما فإن هذه المدينة يمكن تصنيفها ضمن المدن المتوسطة المساحة، وأهم منشآتها ومرافقها التي ذكرتها المصادر هي:

3-1- السور المحيط بالمدينة: المدينة كانت محاطة بسور وفقا لما قاله كل من ابن حوقل: «وهي مدينة عليها سور منيع على نحر البحر وفي شفيره»[37]، والبكري: «ومدينة مرسى الدجاج قد أحاط بها البحر من ثلاث نواح، وقد ضرب بسور من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية ومن هناك يدخل إليها»[38]، والإدريسي: «ومدينة مرسى الدجاج كبيرة القطر لها حصن دائر بها»[39]، وصاحب كتاب الاستبصار: «... والبحر يضرب في سورها»[40].

ومن خلال ما ذكرته المصادر عن هذا السور فإنها لم تقدم لنا معلومات كافية عنه، فهي لم تحدد فترة بنائه، وعن وجوده قبل الفترة الإسلامية من عدمه، كما لم تشر صراحة إلى مادة بنائه، فحديث ابن حوقل عن متانته يبين أنه كان مبني من مادة صلبة كالحجارة مثلا، وهي متوفرة في المنطقة وضواحيها، ولا نستبعد أن يكون أنجز بتقنية الطابية باعتبارها مادة استعملت في تلك الفترة، رغم أنها قليلة الفعالية في المناخ ذي

الرطوبة العالية المحملة بالأملاح، ونستدل على إمكانية استعمال الطابية بقول المقدسي: «وبناؤهم من الطوب»[41]، حيث لم يحدد إن كان المقصود هو السور والمباني الموجودة داخله، أم أحدهما.

وحسب الإدريسي فالسور يحيط بها من جميع الجهات، وركز البكري حديثه على توضيح امتداد السور من الضفة الشرقية إلى الغربية وهي الأجزاء المفتوحة على البر، ولم يتحدث عن الأجزاء المحاذية للبحر، وبالعودة إلى الوصف الذي قدمه لنا صاحب كتاب الاستبصار في القرن 6هـ/12م عن هذا السور والقائل بأنه كان ملاصقا لشاطئ البحر إلى درجة أن ماء البحر يضرب على سطحه الخارجي[42]، فإن هذا السور كان موجود على ساحل البحر كذلك.

3-2- مداخل المدينة: لم يحدد البكري عدد مداخل المدينة واكتفى فقط بالإشارة إلى مكان الدخول إليها من الضفة الشرقية[43]، ولا يستبعد أن يكون للمدينة مدخل واحد فقط نظرا لضيق مساحة المدينة، وقلة سكانها، أو قد يكون لأسباب أمنية، فالمداخل هي نقاط ضعف كل الأسوار لأنها مقصد الأعداء للدخول إلى المدينة بسبب هشاشتها مقارنة بصلابة السور.

3-3- المسجد الجامع: كان في المدينة كباقي المدن الإسلامية مسجداً جامعاً واحداً، انفرد بالحديث عنه البكري حيث قال: «ومسجد جامعها داخل ذلك السور له باب واحد»[44]، وهو ما يبين أن المدينة كان عدد سكانها قليل.

4- النشاط الاقتصادي للمدينة: رغم شحّ المعلومات الواردة في المصادر، إلا أننا تمكنا من الحصول على جوانب مهمة متعلقة بالنشاط الاقتصادي في مدينة مرسى الدجاج، ويمكن حصرها فيما يلي:

4-1- الفلاحـــة: تمثل الفلاحة النشاط الأكثر ممارسة في المدينة وضواحيها، وركزت عليه المصادر التي تحدثت عنها.

4-1-1- الأراضي الزراعية والرعوية: أشار الإدريسي إلى كثرتها[45].

4-1-2- المنتجات الفلاحية: تنوعت منتجات المدينة بين الزراعية والحيوانية، وفقا لما يلي:

أ-المنتجات الزراعية: تميزت بتنوعها وكانت تأتي من الأراضي الخصبة القريبة والبعيدة عنها، وأشار الإدريسي إلى كثرة زراعتها ومهارة فلاحيها في ممارسة الزراعة، الذين استفادوا كثيرا من استقرار الأندلسيين معهم في هذا الجانب، حيث قال: «لها أرض ممتدة وزراعات متصلة وإصابة أهلها في زروعهم واسعة»[46]، واختصر بعده صاحب كتاب الاستبصار كلامه عن هذا المجال بالقول عنها إنها تحتوي على بساتين وجنات[47]، وورد ذكر المنتجات الزراعية التالية:

***الفواكـــه عامة:** تحدث ابن حوقل عن كثرتها وتنوعها وسعرها المنخفض[48]، وعمم الإدريسي بالقول عن الفواكه بأنها متنوعة «وسائر الفواكه»[49]، كما ذكر F.Elie de la Pimaudaie بأن المؤلفات القديمة

أشارت إلى تجارة الفواكه المجففة بين سكان المدينة وسكان مدينتي تدلس وبجاية وغيرهما من المدن الساحلية[50].

*التين: اتفقت المصادر رغم بعدها التاريخي على غناها بإنتاج التين، الذي اشتهرت به المدينة وضواحيها ومازالت إلى يومنا، وعبر ابن حوقل في القرن الرابع الهجري عن مكانة هذا المنتوج بقوله: «والتين خاصة العظيم الجسيم ما يحمل منه إلى البلاد النائية عنه»[51]، وبعده الإدريسي في القرن السادس الهجري الذي صنف التين كمنتوج أساسي للمدينة وكانت مشهورة به، حيث يحمل منها إلى كل الأقطار القريبة والبعيدة «والتين خاصة يحمل منها شرائح طوبا منثورا إلى سائر الأقطار وأقاصي المدائن وهي بذلك مشهورة»[52]، وبالعودة إلى العصر الحالي فإننا نلاحظ هذه الميزة في المنطقة وضواحيها حيث يكثر فيها إنتاج التين، بحيث توجد منطقة قريبة منها تقع غربا تسمى الكرمة أي شجرة التين.

*السفرجل: كانت المدينة مشهورة بإنتاجه مثلها مثل المسيلة والخضراء وبرشك وتنس[53].

*الحبـــــوب: كانت متنوعة في عهد ابن حوقل بين القمح والشعير[54]، قال عنها الإدريسي: «حنطتها مباركة»[55].

*الزيتون: أهملت المصادر الإسلامية ذكره، رغم وجوده بكثرة إلى يومنا هذا في المناطق المحيطة بالمدينة، وذكره F.Elie de la Primaudaie حيث أشار إلى أنه من المواد التي يتاجر به سكانها مع مدينتي تدلس وبجاية وغيرهما من المدن الساحلية[56].

ب- المنتجات الحيوانية: كانت المدينة في عهد ابن حوقل كثيرة الألبان والمواشي بما يكفيها ويكفي المناطق المجاورة لها[57]، وهو ما يبين كثرة مواشيها من البقر والغنم خاصة باعتبارها الأكثر إنتاجا للألبان، وانعكس هذا أيضا على إنتاج اللحم الذي كانت أسعاره منخفضة، حيث قال الإدريسي في هذا الخصوص: «واللحوم بها كثيرة وتباع بالثمن اليسير»[58]. واستثنت المصادر ذكر السمك رغم وجود البحر وغنى المنطقة بالسمك، وهو أمر يثير تساؤلات كثيرة عن السبب، علما بأنها كانت ومازالت مصدرا مهما للسمك لسكان المدينة ومحيطها.

4-2- التجـــارة: تزدهر المدن وتتطور بالتجارة التي تربط المدينة بغيرها من المدن القريبة والبعيدة، وتُنشط فيها القطاع الفلاحي وتزودها بما ينقصها من سلع، ولممارسة التجارة لابد من توفر عدة عناصر أهمها الأسواق الصغيرة والكبيرة، والطرق، والمرسى إذا كانت المدينة ساحلية، وهي عناصر ثلاثة تتوفر في مدينة مرسى الدجاج.

4-2-1- الأسواق: تمارس التجارة عادة في أسواق كبيرة غير دائمة تُعقد مرة أو مرتين في الأسبوع أو في مرات معدودة من السنة خلال المناسبات الدينية وتقع خارج أسوار المدن لكبر مساحتها وكثرة مرتادیها، وأخرى صغيرة دائمة تكون داخل المدن في ساحات صغيرة معدة لهذا الغرض أو في أماكن تقاطع

الشوارع، وأحيانا تتشكل على طول الشوارع حيث تصطف في شكل حوانيت صغيرة على جانب واحد من الشارع أو على الجانبين، وكل ما توفر لدينا من معلومات عن هذا الجانب يتعلق بما ذكره البكري الذي أشار إلى وجود أسواق داخل أسوار المدينة[59]، ويتحدث البكري هنا عن الأسواق الدائمة التي تنشط في وسط أحياء المدينة.

ومن خلال الموقع المتميز للمدينة فإن هذه الأسواق كانت نشيطة وفي حركة دائمة بفعل وجود العوامل المحفزة على النشاط، كالقرى والأرياف القريبة منها، والطرق التي تربطها بالمدن والحواضر الإسلامية، والمرسى الذي يمثل الواسطة التي تربط بين الطرق البرية والطريق البحري الواصل إلى جزيرة ميورقة.

4-2-2-المرسى: يمثل المرسى شريان المدينة الاقتصادي، ووسيلتها التي أكسبتها أهميةً، فهو يسمح لها بالاتصال بمدن ما وارء البحر، ويمتن صلتها بالمدن الداخلية التي تجعل من مرساها وسيطا يربطها بمدن الضفة الأخرى من البحر، وبه تبرز المدينة ويصبح من صفاتها الغالبة على الصفات الأخرى وتلقب حينها المدينة المرفأ.

ومن خلال طوبوغرافية الموقع فإن المرسى يقع في الجهة الغربية من المدينة، وهو نفس المكان الذي يقع فيه المرسى الحديث، وقد تحدثت عنه المصادر التي وصفته، وأجمعت على صعوبة الرسو فيه، فابن حوقل المتوفى سنة 368هـ/978م، أشار إلى عدم وجود مرسى مأمون[60]، أما البكري في القرن الموالي فخصه ببعض التفاصيل حيث صنفه ضمن المراسي المشهورة، ثم أضاف بأنه مرسى صيفي غير مأمون وبين عيوبه التي تمثلت في ضيقه وقلة عمقه[61]، ومرسى صيفي معناه أن استعماله ينحصر في فصل الصيف، ويقل استخدامه أو ينعدم في الفصول الأخرى لوجود تيارات بحرية تمنع السفن من الرسو فيه، ولعدم توفر موقعه على حواجز طبيعية تحميه من تأثير التيارات الشمالية التي تضرب ساحل المدينة شتاءً[62]، وخالف الإدريسي هذا الكلام في القرن 6ه/12م وقال بأن المرسى مأمون[63].

واتفق كل من البكري، وصاحب كتاب الاستبصار على ذكر المرسى الذي يتعامل معه في الضفة الأخرى من البحر وحدداه في جزيرة ميورقة[64].

و لم تقدم لنا المصادر معلومات عن استعماله، باستثناء حادثة استقباله لخمسة وعشرين سفينة تحمل المدد العسكري في العهد الفاطمي خلال شهر محرم 336هـ/جويلية 947م التي ذكرها ابن حماد، وسبقت الإشارة إليها أثناء الحديث عن تاريخ المدينة، ونلاحظ هنا أن المرسى استعمل في فصل الصيف.

4-2-3- الطرق التجارية: تيسر الطرق المواصلات بين المدينة ومحيطها القريب والبعيد، فهي تساعد على تنقل الناس والبضائع من وإلى المدينة، وقد ذكر الجغرافيون المسلمون الذين اهتموا ببلاد المغرب الكثير منها، فالبكري حدد الطرق البرية التي كانت تربط مرسى الدجاج بالحواضر الإسلامية في العهد الصنهاجي، وهي أشير والقيروان والمسيلة، ومدن أخرى كحمزة وسوق حمزة، إضافة إلى هذين الطريقين

البربين، هناك طريق بحري ذكره كل من البكري وصاحب كتاب الاستبصار، إضافة إلى الطريق الساحلي الممتد من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، الذي يعبر حتما على المدينة أو في موضع غير بعيد منها أهملت المصادر ربطه بالمدينة، على اعتبارها محطة من محطاته وليست مقصده.

أ- طريق بري داخلي: (الشكل رقم 02) وهو طريق يمتد من مدينة أشير عاصمة الدولة الزيرية إلى مرسى الدجاج. وينقسم هذا الطريق إلى قسمين رئيسيين، القسم الأول من مدينة أشير إلى غاية مدينة حمزة ويبلغ طوله التقريبي حوالي 80 كلم، والآخر إلى غاية مرسى الدجاج وطوله التقريبي حوالي 60 كلم، مما يعطيه طولا إجماليا يقدر بـــ140كلم يقطعها المتنقل فيه في مدة أربعة أيام حسبما ذكره الحميري[65].

وأوضح البكري محطاته بقوله: «تخرج من مدينة أشير الى شعبة وهي قرية، ومنها إلى مضيق بين جبلين، ثمّ تفضي إلى فحص أفيح تجمع فيه عروق عاقر قرحا، ومن هذا الموضع تحمل إلى الآفاق. وهناك مدينة تسمّى حمزة نزلها وبناها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم...، وتسير من حمزة إلى بلياس وهي في جبل عظيم، ومن بلياس إلى مرسى الدجاج»[66].

ب- طريق بري داخلي وساحلي: (الشكل رقم 02) هذا الطريق معظم أجزائه داخلية والجزء الأخير منه ساحلي، ويمتد من القيروان إلى مرسى الدجاج، وينقسم إلى أربعة أجزاء رئيسية، منها الجزء الأول الممتد من القيروان إلى غاية المسيلة مرورا بقلعة بني حماد، وهو طريق تكثر فيه الحركة بطول يقدر بحوالي 500كلم أو أكثر بقليل، أما الجزء الثاني فيمتد من المسيلة إلى غاية مدينة سوق حمزة ويبلغ طوله التقريبي حوالي 100كلم، في حين ينطلق الجزء الثالث من مدينة سوق حمزة إلى غاية مدينة بني جناد بطول تقريبي يقدر بحوالي 75كلم، وآخر جزء منه يمر بمحاذاة البحر يمتد من مدينة بني جناد إلى مدينة مرسى الدجاج، ويقدر طوله التقريبي بحوالي 20كلم، وهو ما يمنحه طولا إجماليا يقارب الـــ700كلم.

وذكر البكري محطاته بقوله: «ومن أراد الطريق من القيروان إلى مرسى الدجّاج فإنّه يأخذ إلى المسيلة على ما تقدّم، ثمّ إلى أوزقور وهي عين عذبة باردة عليها شجرة عظيمة، وهذا آخر حدّ بلد صنهاجة إلى سوق ماكسن، وهي مدينة على وادي شلف لصنهاجة عليها سور ولها عيون إلى سوق حمزة وهي مدينة عليها سور وخندق وبها آبار عذبة وهي لصنهاجة، وكان نزلها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسن بن علي، إلى بني جنّاد، وهي مدينة صغيرة على جبل بينها وبين البحر نحو ميل، ومنها إلى مرسى الدجّاج»[67].

وعند محاولة إسقاط هذا الطريق والطريق السابق على الواقع في الأرض يجعلنا نتأكد من وجود مدينتين متقاربتين هما حمزة وسوق حمزة، فمدينة حمزة بناها حمزة واستقر فيها، أما سوق حمزة فقد كانت موجودة سابقا، وحمزة نزلها واستقر فيها دون أن يبني فيها وهي تقع شرق الأولى، وتبعدان عن بعضهما بمسافة كبيرة أو متوسطة، ورغم ما تميز به الحموي من نقل عن البكري إلا أنه في الصفحة 302 من المجلد الثاني

من كتابه، أورد معلومة في آخر حديثه عن مدينة حمزة وسوق حمزة تثبت فعلا وجود مدينتين وليس مدينة واحدة حيث قال: «حمزة بالفتح ثم السكون وزاي...، وسوق حمزة بلد آخر بالمغرب وهي مدينة عليها سور يتزلها صنهاجة، منسوبة أيضا إلى حمزة بن الحسن بن سليمان وهي أقرب من الأولى».

وبتتبع مسار الطريق الأول والثاني فإنهما يرشدانا إلى الاستنتاج السابق ذكره، فالطريق الأول يمتد من القيروان إلى مرسى الدجاج مرورا بالمسيلة وسوق حمزة وبني جناد على الترتيب، والثاني يمتد من أشير إليها مرورا بحمزة وبلياس، وبتتبعهما على الخريطة يتضح أن موقع المدينتين مختلف، وليس المقصود منهما مدينة واحدة، لأنه لو كانت واحدة لكان الطريق منها إلى مرسى الدجاج واحدا، لأن العبور عبر مدينة بني جناد يجعل الطريق طويلا، وعليه فإن حمزة هي مدينة يعبرها القادم من أشير، وسوق حمزة هي أيضا مدينة وتقع شرق الأولى بمسافة متوسطة وهي تقريبا متعامدة مع مدينة بني جناد ومحطة الطريق الموالية قبل الوصول إلى مرسى الدجاج، وهذا يجرنا إلى المقارنة بينهما وبين كل من مليانة باعتبارها المدينة الأصلية، وخميس مليانة القريبة منها، والتي سميت بهذا الاسم لوجود سوق كان يعقد هناك يوم الخميس[68].

جـ- طريق بري ساحلي: (الشكل رقم 02) وهو طريق يقطع بلاد المغرب من طرابلس شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ويمر عبر معظم المدن الساحلية للمغرب الأوسط، ومنها مدينة مرسى الدجاج، ولا نعلم لماذا أهملت المصادر ذكره، وهي دوما تكتفي بذكر أهم المحطات، وهذا الطريق كان كثيف الحركة ونعتته المصادر بعدة أسماء، منها طريق الجادة[69]، وكثر استعمال الجزء الرابط بين تنس وطرابلس نتيجة للغزو الهلالي للمدن الداخلية كالقيروان وقلعة بني حماد، حتى يربط بين المغرب الأدنى حيث يوجد الزيريون والأوسط حيث يوجد الحماديون[70]، وازدهرت المدن الساحلية التي يعبرها في هذا العهد[71]، ومنها مدينة مرسى الدجاج كما سبق الحديث عنه.

د- طريق بحري: يربط هذا الطريق مدينة مرسى الدجاج مع جزيرة ميورقة[72] (الشكل رقم 02)، وأساسه المرسى الذي يستقبل السفن القادمة من وإلى المدينة.

رابعا: المدينة من خلال البقايا الأثرية: مازالت المدينة تزخر ببعض البقايا الأثرية المتناثرة في موقعها، مواد البناء، ووسائل العيش المصنوعة من الفخار، وغيرها.

1- وصف موقع المدينة: انحصرت مساحة المدينة بالمباني ومختلف المرافق الحديثة، وبقي منها جزء صغير كان عرضة للتقسيم إلى قطع أرضية صغيرة، وتم إنقاذه في آخر لحظة، وهو يتكون من مجموعة من مواد البناء المتناثرة هنا وهناك، بعضها في مكانه الأصلي والبعض الآخر بعيد عنه، إضافة إلى وجود قطع فخارية من أواني متنوعة.

ومن خلال الصور التي التقطتها جمعية السواقي ببلدية زموري أثناء إنجاز الحفرية الإنقاذية خلال شهر مارس 2007م (اللوحة رقم 01/01 إلى 03)، وبزيارتنا للموقع جمعنا نظرة أولية حوله مكنتنا من الحصول

على معلومات هامة، فقد وجدنا أرضيات لمبان مشكلة بترتيب قطع من الآجر (اللوحة رقم04/01-02-03)، وبقايا لأسوار مبنية بتقنية الطابية (اللوحة رقم04/04)، وأخرى بالآجر(اللوحتان رقم01 ورقم03/03)، وبقايا للقرميد المستخدم في تغطية المباني (اللوحتان رقم01/02 ورقم 03/04)، وحجارة وأعمدة منتشرة هنا وهناك (اللوحة رقم03/01-02)، وكذا جرار للتخزين منتشرة بكثافة تم استخراج إحداها في الحفرية الإنقاذية (اللوحة رقم05/01)، وأخرى مازالت في مكانها لكنها تتعرض للتخريب المنظم يوما بعد يوم (اللوحة رقم05/02).

2- مواد البناء: من خلال الآثار البارزة على سطح الأرض والموزعة داخل الموقع، يمكن ملاحظة بعض مواد البناء المستخدمة في المدينة، وهي:

2-1- الحجارة: هي قليلة جدا، وتمثلت في قطع كبيرة ومتوسطة الحجم خاصة ببناء الأسوار(اللوحة رقم03/01)، وأخرى تم تشكيلها بشكل اسطواني لاستعملها كأعمدة (اللوحة رقم03/02).

2-2- الآجر: استخدم في بناء الأسوار والعناصر المعمارية (اللوحتان رقم01/04 ورقم03/03)، وكذا في تبليط الأرضيات (اللوحة رقم04/01-02-03)، ووجد منه نمطان، الأول سميك وطويل، والثاني قليل السمك وقصير الطول.

2-3- القرميد: القرميد موجود بكثرة في المدينة (اللوحتان رقم01/02 ورقم 03/04)، وهو ما يبين أن منشآت المباني كان مائلا يكسوه القرميد، وهي في هذا لم تبتعد عن التقليد المتبع في معظم المدن الساحلية التي تعود إلى نفس فترتها أو بعدها، مثل مدينة تنس غربا وتدلس شرقا.

2-4- التراب: هو المادة الأساسية في البناء بتقنية الطابية، يتميز بلونه الأحمر، وهو موجود بكثرة في أماكن قريبة جدا من موقع المدينة، وهذا النوع من التربة هو الأنسب في تقنية الطابية ويسمى في بعض مدن المغرب الأقصى بالحمري[73].

2-5- الجير: يستعمل في الخليط الذي تملأ به قوالب تقنية الطابية، وتتراوح نسبته بين 2.50 و6.00%[74]، ويعمل على ربط المواد المستعملة في خليط تقنية الطابية كما يتسرب السائل منه إلى جوانب السور فيعمل على الزيادة من صلابة السور في سطحيه الخارجي والداخلي[75].

2-6- الرمل والحصى: هما مادتان مكملتان في البناء بتقنية الطابية، حيث تضافان للخليط المستعمل في البناء بها وتقدر نسبتهما بـــ40-50% بالنسبة للرمل واقل من 15% بالنسبة للحصى[76].

3- تقنيات البناء: أظهرت لنا البقايا الأثرية الموجودة في الموقع بعض تقنيات البناء المستخدمة في انجاز المنشآت، وهي:

3-1- تقنية بناء الأسوار: لم توضح لنا البقايا الأثرية السطحية الكثير في هذا الميدان، وما تمكنا من ملاحظته تمثل في بعض الأسوار التي أنجزت بقطع الآجر(اللوحتان رقم01/04 ورقم03/03) وبتقنية الطابية

(اللوحة رقم04/04)، وهي في هذا تتماثل مع بعض المدن الساحلية الأخرى في المغرب الأوسط كتنس وهنين وغيرهما، وتعتبر تقنية الطابية من أكثر التقنيات استعمالا في بناء العمارة الإسلامية بكل أنواعها في الكثير من المدن الإسلامية في المغرب والأوسط وفي غيره، سواء منها الساحلية أو الداخلية، رغم عدم ملاءمة مناخ المدن الساحلية مع المواد التي يتركب منها الخليط الذي يوضع في قالب تقنية الطابية، ومنها خاصة التراب الذي لا يقاوم مناخ المدينة المحمل بالرطوبة والأملاح القادمة من مياه البحر(77).

3-2- تقنية التبليط: من خلال معاينة بعض الأماكن المكشوفة من الموقع، اتضح استعمال قطع الآجر في التبليط بشكل واسع ومتعدد من حيث التقنيات، وتمكنا من رصد ثلاث تقنيات هي:

- ترتيب قطع الآجر بجوار بعضها بشكل منتظم على جهتها العريضة (اللوحة رقم04/02).
- ترتيب قطع الآجر على جهتها العريضة في صفوف متناوبة في اتجاه الاستطالة (اللوحة رقم04/03).
- ترتيب قطع الآجر على حوافها في هيئة صفين مائلين تتقابل كل قطعة من الصف الأول مع أخرى في الصف الثاني، وهما ما ينتج عنه شكل يشبه أشواك السمك، ويتشكل بتجاورها خطوط منكسرة ملتصقة مع بعضها البعض (اللوحة رقم04/01) وهذه التقنية استعملت بكثرة في قصور قلعة بني حماد (اللوحة رقم04/05).

4- الاكتشافات الأثرية في المدينة وضواحيها: تزخر المدينة بكم هائل من البقايا الأثرية مازالت محفوظة في باطن الأرض، وبين الحين والآخر تظهر بعض هذه البقايا التي عثر عليها المواطنون في أماكن مختلفة من موقع المدينة وضواحيها، لكنها تبقى طي الكتمان بسبب اجتهاد أصحابها على ترك الأمر سرا خاصة بالنسبة للقطع النقدية فهي صغيرة وقيمتها كبيرة، رغبة منهم في بيعها لتجار الآثار وما أكثرهم حاليا مع التطور الهائل لوسائل الاتصال، ومن حسن الحظ أن بعض البقايا تم الكشف عنها وهي محفوظة لدى السلطات المختصة بذلك، وهي:

4-1- البقايا الأثرية التي عثر عليها في موقع المدينة: استخرج من موقع المدينة قطع أثرية مهمة أثناء الحفرية الإنقاذية التي أنجزت في الموقع خلال شهر جويلية 2007م، من بينها مد نبوي ومصباح زيتي (اللوحة رقم 03/06)، وجرة كبيرة، وهي محفوظة لدى جهة رسمية لم نستطع تحديدها إلى يومنا هذا.

وما زال في الموقع حاليا مجموعة كبيرة من الجرار ذات السعة الكبيرة مدفونة تحت سطح الأرض في أماكن مختلفة منه، تم استخراج واحدة منها أثناء الحفرية سابقة الذكر(اللوحة رقم01/05)، وهي معروضة في ساحة المخيم الصيفي المقابل للموقع، والجرار الأخرى تم الكشف عن الجزء العلوي منها بطريقة عشوائية مما عرضها للتخريب (اللوحة رقم05/02)، كما تتوزع في الموقع الكثير من القطع الفخارية لأواني مختلفة الأشكال والأحجام وقطع صغيرة للقرميد.

4-2- البقايا الأثرية التي عثر عليها في ضواحي المدينة: تظهر بين الحين والآخر بعض البقايا الأثرية التي تعود إلى نفس فترة ازدهار المدينة (الفاطميين-الزيريين- الحماديين)، ولعل أشهرها الكنز النقدي الفاطمي الذي عثر عليه في قرية إبراهيمية بكدية العرائس التابعة إداريا لبلدية لقاطة يوم 19 ماي 2008م، والتي تبعد عن المدينة بكيلومترات قليلة جدا، وتمثل هذا الكنز في 703 قطعة نقدية فضية، 682 منها في حالة حفظ سيئة بفعل الصدأ الذي يغطيها(اللوحة رقم $06/_{01}$)، أما 21 قطعة المتبقية فهي في حالة من الحفظ مقبولة (اللوحة رقم $06/_{02}$) مكنت مكتشفيها من قراءة الكتابات الموجودة عليها، وهي متكونة من الدرهم ونصف الدرهم، تحمل كتابات تمثل الشعارات التي كانت تستعمل لدى حكام الدولة الفاطمية، واسم الحكام الذين سكوها وتاريخ ومكان الضرب.

العبارات الدينية المستعملة: لا إله إلا الله محمد رسول الله

مكان الضرب: المهدية والمنصورية

اسم الحاكم: الإمام عبد الله ووليه المنصور والإمام العزيز ووليه نزار

معلومات لنقد تم جرده

المادة: الفضة **نوع السكة:** درهم **الوزن:** 1 غ **القطر:** 20 مم

الوجه: الهامش1: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

الهامش2: وعلي أفضل الوصيين ووزير المرسلين.

الهامش3: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

المركـــز: منقط.

الظهر: الهامش1: المعز لدين الله أمير المؤمنين.

الهامش2: دعا الإمام معد لتوحيد الإله الصمد.

الهامش3: بسم الله ضرب هذا الدرهم بالمنصورية سنة تسع وخمسين وثلاث ماية.

المركز: منقط.

حالة الحفظ: سيئة **التأريخ:** الفترة الإسلامية **تاريخ الاكتشاف:** 19/05/ 2008[78]

خامسا: حالة الموقع حاليا: بعد الحفرية الإنقاذية التي نفذت في الموقع تم وقف أشغال تقسيم الموقع بشكل رسمي، ثم شرعت السلطات في حمايته ميدانيا بإحاطته بسياج لمنع وصول الأخطار إليه، وبمرور الزمن زال السياج وتحول الموقع إلى مكب لبقايا الإصلاحات التي تجريها البلدية هنا وهناك (اللوحة رقم 02)، كما برز شيء آخر أكثر خطورة وهو الحفر العشوائي بحثا عن الكنوز من طرف المواطنين، بحيث تم تخريب

الكثير من الجرار الكبيرة الموجودة في أرضية الموقع بحثا عن قطع أثرية ذات قيمة مادية (اللوحة رقم 02/05).

وانطلاقا من شهر سبتمبر 2012م شرعت وزارة الثقافة في الإجراءات القانونية الخاصة بتصنيف المدينة كموقع أثري محمي، حيث صدر في الجريدة الرسمية قرار مؤرخ في 25 شوال عام 1433هـ الموافق لـ12 سبتمبر 2012م يتضمن فتح دعوى تصنيف الموقع الأثري زموري البحري، وتم في هذا القرار تحديد المساحة الجغرافية التي تشملها الحماية القانونية وفقا لما يلي:

- شمالا: طريق غير معبد يفصل الموقع الأثري عن مسجد الإمام عبد الحميد بن باديس، ووحدات سكنية تابعة لخواص ومعلبة الزيتون.

-شرقا: طريق ولائي رقم 25 يفصل الموقع الأثري عن مخيم الاصطياف الزيتونة ومحلات تجارية.

-جنوبا: قطعة أرضية تابعة لخواص ووحدات سكنية من نوع بنغل.

-غربا: وحدات سكنية ملكية خاصة، وأراضي تابعة لأملاك عمومية للدولة.

وتم تعيين حدود المنطقة المحمية بـ 200م ابتداء من حدود الممتلك الثقافي.

ويمتد نطاق التصنيف إلى المساحة المبنية والمقدرة بست هكتارات تضاف إليها مساحة المنطقة المحمية[79].

الخاتمة: لقد حاولنا بهذا المقال إعطاء هذه المدينة مكانتها التي تستحقها وإماطة اللثام عن أسرارها، لإعطائها مكانتها العلمية التي تستحقها، وعليه من خلال ما تم ذكره سابقا فقد استطعنا الوصول إلى مجموعة من النتائج يمكن ذكرها فيما يلي:

1- هذه المدينة عمرت فترة قصيرة في العهد الإسلامي، واستمر عصر ازدهارها فترة الدولة الفاطمية والزيرية والحمادية، حيث أشارت المصادر إلى كونها جزء من ولاية تضمها مع مدن طبنة ومقره والمسيلة مع بداية العهد الحمادي، ثم مع مدينة الجزائر في وقت لاحق من نفس الدولة، وكانت مقصد التجار بفعل وجود طرق تجارية تربطها بأشير والمسيلة داخل بلاد المغرب الأوسط، وكذا كانت جزء من الطريق الساحلي الممتد من شرق إلى غرب المغرب الإسلامي، وهذا كله لوجود مرسى يربطها بجزيرة ميورقة.

2- المدينة غابت تماما عن مسرح الأحداث السياسية في المغرب الأوسط بعد القرن 5هـ/11م، إلى درجة أن كل المصادر لم تتحدث عنها إطلاقا، وهي ظاهرة يمكن تفسيرها من عدة جوانب هي:

* تهديمها عقب ثورة ابن غانية ضد الموحدين، مثلما أشارت إليه المصادر وأهما كتاب العبر لابن خلدون.

* حدوث زلزال دمرها تماما، خاصة وأنها تقع ضمن موقع يتميز بنشاط زلزالي قوي، وقربها من مركز زلزال 21 ماي 2013م خير دليل على ذلك.

* موقعها غير المحصن طبيعيا جعلها عرضة للأخطار البحرية على الدوام، مما منع الحكام من اتخاذها مركزا سياسيا، خاصة مع التطور الذي كان يميز صناعة السفن والمراكب الحربية عبر الزمن، فكلما تطورت هذه الصناعة انكشفت المدينة أكثر للعدو.

* بروز مدينة دلس الواقعة شرقها على بعد حوالي 40 كلم، تتميز بخصائص طبيعية أفضل منها، مثل المرسى المأمون والمحمي برؤوس بحرية طويلة، ووقوع منشآتها في أماكن مرتفعة، فهذه المدينة تعاظمت مكانتها منذ العهد الحمادي وخصوصا بعد قدوم الأندلسيين إليها واستمر العمران فيها طيلة الفترة الإسلامية حتى أنها احتضنت مقر المقاطعة الشرقية للدولة العثمانية في أول عهدها، وهو ما غطى تماما على مدينة مرسى الدجاج.

3- المدينة ذات أهمية تاريخية وأثرية كبيرة جدا للباحثين، باعتبارها من المدن الإسلامية الساحلية القليلة جدا التي حافظت على عمران يعود إلى القرون من 3 إلى 5هـ/9 إلى11م في المغرب الأوسط، لتوفر عوامل ساهمت في المحافظة عليها، أهمها عدم تمركز السكان فيها بشكل كبير منذ ذلك الوقت، وعدم اتخاذها كمركز إداري لدى معظم الدول التي حكمت الجزائر إلى غاية الاحتلال الفرنسي، واستمرار هذا الوضع بعد الاستقلال، وهو ما قلل من المباني في موقعها ومحيطه القريب إلى يومنا هذا وسمح بالحفاظ على جزء مقبول من آثارها المطمورة تحت التراب والرمال.

وأهم التوصيات التي نقدمها هي:

- حماية المدينة قانونيا وتجسيده ميدانيا.

- برمجة حفرية في المستقبل القريب للوصول إلى تحديد أنماط عمارتها، وطريقة توزيعها داخل الفضاء الداخلي لها.

ملحق اللوحات:

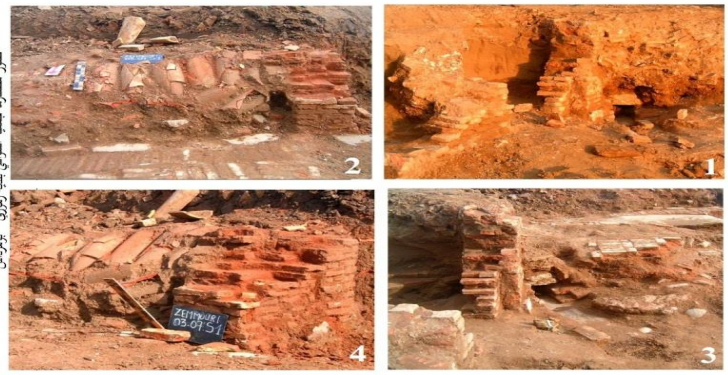

اللوحة رقم 01: **مكان انجاز الحفرية الإنقاذية قبل إعادة ردمها**

1- بقايا السياج الذي أحيط به الموقع

2- الردوم والفضلات في كل مكان من الموقع

اللوحة رقم 02: **حالة الموقع حاليا**

1- التبليط على هيئة أشواك

2- التبليط بقطع الآجر على جهتها العريضة

3- التبليط بقطع الآجر في صفوف متناوبة في اتجاه الإستطالة

4- سور منجز بتقنية الطابية

5- التبليط على هيئة أشواك السمك في قصر المنار بقلعة بني حماد

اللوحة رقم 03: **مواد البناء المستعملة في انجاز منشآت المدينة**

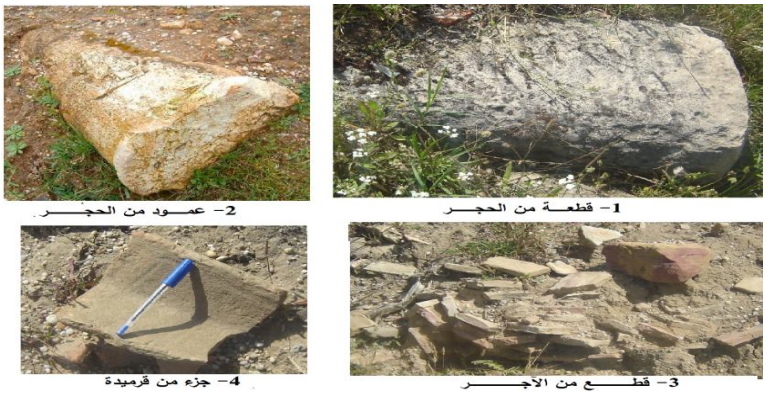

اللوحة رقم 04: **تقنيات التبليط بالآجر والبناء بتقنية الطابية**

اللوحة رقم 05: **الجرار المكتشفة في الموقع**

اللوحة رقم 06

الهوامش:

* - هي جمعية تهتم بالتراث تسمى بجمعية السواقي ببلدية زموري ولاية بومرداس.

2- يتم اللجوء للحفرية الإنقاذية أثناء الاكتشافات المفاجئة بفعل مخلفات العوامل الطبيعية أو بفعل انجاز مختلف النشاطات تحت سطح الأرض، وتقوم بها هيئة رسمية تابعة لوزارة الثقافة الهدف منها تقييم الموقع الأثري، وعلى ضوء تقرير اللجنة الموفدة إلى المكان يتم إصدار قرار وقف الأشغال وحماية الموقع قانونيا، ثم برمجة حفرية علمية منظمة للكشف عن الموقع ودراسته.

3- البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص.65.

4- مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص.131.

5- الإدريسي، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص.159.

6- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1991 ص.328.

7- البكري، المصدر السابق، ص.65.

8- مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي أفريقيا، تر: أبو العيد دود، ج.02، دار الأمة، الجزائر، 2008، ص.89.

- F.ELIE DE LA PRIMAUDAIE, «Le Commerce et la navigation de l'Algérie avant la conquête française», in: Revue algérienne et coloniale, juin 1860, p.183.

9- مالتسان، المرجع السابق، ص.89.---- 10- مجهول، المصدر السابق، ص.131.

[11] - E.CAT,« Rapport concernant le pays compris entre Cherchell et Ténès et la région maritime d'Alger à Bougie»,in : Bulletin de correspondance africaine, Ecole supérieure des lettres d'Alger, fascicule III, Mai et Juin 1882,p.p.139-140.

- St.GSEL, Atlas archéologique de l'Algérie, Paris, 1911, Feuille N°05, p.08.

12- مجهول، المصدر السابق، ص.131.---- 13- المقدسي، المصدر السابق، ص.ص.216-218.

14- ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص.ص.67 و77.

15- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج.02، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1963، ص.132.

16- البكري، المصدر السابق، ص.65.---- 17- امتدت ثورته من 331هـ/942-943م إلى 336هـ/947-948م وشملت أواخر فترة حكم القائم بأمر الله أبي القاسم(322-334هـ/933-945م)، وبداية حكم إسماعيل المنصور (334-341ه/945-952م)، وكانت من بين الثورات التي دعمتها الدولة الأموية في الأندلس.---- 18- وهو المكان الذي أقيمت فيه قلعة بني حماد فيما بعد. ينظر: رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص.10.

19- أبي عبد الله محمد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص.44.

20- عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج6، ج.11، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983، ص.ص323-324/أبو الفداء، كتاب المختصر في أخبار البشر، ج.02، ط.01، المطبعة الحسينية، القاهرة، (د.ت)، ص.132/النويري، كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب،،ج.02، غرناطة، 1917-1919، ص.138/ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج8، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ص.ص.89-90/الهادي روحي إدريس، الدولة الصنهاجية، ترجمة: حمادي الساحلي، ج.01، ط.01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص.ص.190 إلى 193.

21- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، مج6، ج.11، ص.ص.353-354/الهادي روحي إدريس، المرجع السابق، ج.01، ص.303 وج.02، ص.132.---

- 22- الإدريسي، المصدر السابق، ص.ص.159-160. - مجهول، المصدر السابق، ص.131.

23- البكري، المصدر السابق، ص65.---- 24- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج.13، ص.161.

25- عن مدينة دلس يمكن العودة إلى كتابنا: إسماعيل بن نعمان، مدينة دلس (تدلس) دراسة تاريخية وأثرية خلال العهد الإسلامي، دار الأمل، تيزي وزو، 2011، جزء التاريخ.

26 - F.ELIE DE LA PRIMAUDAIE, Op.cit, p.183.---- 27 - Ibid, p.183.

28 - SHAW, Voyage dans la régence d'Alger, 2éme édition , édition Bouslma, Tunis, 1980. p.307

29 -JEAN-PASCAL HESSE, Courbet, village de la plaine de l'Isser (1873 – 1914), Création et évolution d'un centre de colonisation, in: http//courbet.fr (consulter le 21-05-2013), p57.

30 -A.DE VIALAR, « Le Cap Djinet », in: AFRICA (Bulletin de la société de géographie d'Alger), N°01, fascicule 01, libraire de l'académie, Alger, 1880, p.36/F.ELIE DE LA PRIMAUDAIE, Op.cit, p.183.

- هـ. ف.مالتسان، المرجع السابق، ص.900

31 - JEAN-PASCAL HESSE, Op.cit, p57.

32- الإدريسي، المصدر السابق، ص.159.--- 33- البكري، المصدر السابق، ص.65.---- 34- نفـــــــــه.

35- الإدريسي، المصدر السابق، ص.159.----36- البكري، المصدر السابق، ص.65.----37- ابن حوقل، المصدر السابق، ص.77.

38- البكري، المصدر السابق، ص.65-82.----39- الإدريسي، المصدر السابق، ص.159.----40- مجهول، المصدر السابق، ص.131.

41- المقدسي، المصدر السابق، ص.ص.327-328. وهنا وجبت الإشارة إلى أن محقق الكتاب صحح اسم المدينة الواردة في الكتاب من مدينة سوق حمزة إلى مرسى الدجاج، وهو محق في هذا لأن الأولى لا تقع على ساحل البحر، كما أن المدينة الموالية لها هي مدينة الجزائر كما ذكره.

42- مجهول، المصدر السابق، ص.131.----43- البكري، المصدر السابق، صص65-82.----44- نفـــه، ص.65.

45- الإدريسي، المصدر السابق، ص.159.----46- نفســـه.----47- مجهول، المصدر السابق،، ص.131.

48- ابن حوقل، المصدر السابق، ص.77.----49- الإدريسي، المصدر السابق، ص.159.

50 - F.ELIE DE LA PRIMAUDAIE, Op.cit, p.183.

51- ابن حوقل، المصدر السابق، 77.----52- الإدريسي، المصدر السابق، ص.160.

53- رشيد بورويبة، «الحضارة الفاطمية الزيرية»، ترجمة: محمد بلغراد، في كتاب: الجزائر في التاريخ، ج.03، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص.180.---54- ابن حوقل، المصدر السابق، ص77.----55- الإدريسي، المصدر السابق، ص.159.

56 - F.ELIE DE LA PRIMAUDAIE, Op.cit, p.183.

57- ابن حوقل، المصدر السابق، 77.----58- الإدريسي، المصدر السابق، ص.ص.159-160.

59- البكري، المصدر السابق، ص. 65.----60- ابن حوقل، المصدر السابق، ص.77.----61- البكري، المصدر السابق، ص.ص.65 و82.

62- الأسعد شوشان، الموانئ والمراسي بالمغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة، دراسة تاريخية أثرية، بحث لنيل شهادة الماجستير في علوم التراث، اختصاص آثار إسلامية، جامعة تونس، تونس، 2009-2010، ص.201.----63- الإدريسي، المصدر السابق، ص.159.

64- البكري، المصدر السابق، ص.ص.65 و82/مجهول، كتاب الاستبصار، ص.131.

65- الحميري، مراصد الاطلاع، ص.80/الحموي، معجم البلدان، مج5، ص.106

66- البكري، المصدر السابق، ص.ص.64-65.----67- نفســه.، ص.65.

68- لمزيد من المعلومات عن تاريخ مدينة حمزة يمكن الرجوع إلى: - ذهبية محمودي، منطقة البويرة خلال الفترة الإسلامية، دراسة تاريخية وأثرية، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2012-2013، ص.29 وما يليها.----69- البكري، المصدر السابق، ص.65.

70- عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، بيروت، 1983، ص.ص.308 و311.----71- نفسه، ص.311.----72- البكري، المصدر السابق، ص.65.

73- إسماعيل عثمان عثمان، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، الجزء الثالث: عصر دولة الموحدين، الطبعة الأولى، الهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، 1993، ص.120.

74 - P.DOAT et autres, Construire en terre, paris, 1985, p.17.

75 - A.BAZZANA, «L'architecture de terre au Moyen-âge: Considérations générales et exemples andalous», in: l'architecture de terre en méditerranée, faculté des lettres et des sciences humaines, Rabat, 1999, p.p.179 et 181.----76 - P.DOAT et autres, Op.cit, p.17.

77- لمزيد من المعلومات حول تاريخ استعمال هذه التقنية وطريقة ووسائل استخدامها في أنجاز الأسوار يمكن العودة إلى مقالنا:

إسماعيل بن نعمان، « حرفة البناء ببلاد المغرب الأوسط تقنية الطابية أنموذجا»، في مجلة: الناصرية، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية بجامعة معسكر، الجزائر، العدد 04، جوان 2013، ص.ص.465-482.

78- تم نشر المعلومات الخاصة بهذا الكنز النقدي من طرف درياس لخضر وإقدرزان حياة في مجلة الآثار، وتم الاطلاع عليها يوم 07-06-2013 من خلال موقع المجلة على الشبكة العنكبوتية: www.archaeologic.net

79- الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، العدد 46، الصادر يوم 16 ذي القعدة 1434هـ الموافق لـ 22 سبتمبر 2013م، ص.12.

Abstract: *Algeria is rich in a large number of Islamic cities, which was established in different historical periods, some of which remained legged life since its inception, despite the different successive states it, others gradually disappeared and turned into piles of building materials accumulated sand and dust and shielded from view, which applies to Marsa El Djaje City.*

This city is one of first cities in Central Meghreb, it flourished in the Fatimid and Zirid and Hammadi, it began to deteriorate until destroyed by the conflict, which was in the Covenant Of the Almohads during the 5th century AH /11th century AD, main advantage was that it has maintained its original buildings because it didn't witness a significant population stability after this period.